قصـــة قصيـــرة

ندبات الفراق

غلاف : كارولين سامح

محمد الباقر

قصة قصيرة

ندبات الفراق

محمد الباقر

تصميم غلاف:

كارولين سامح

تصميم داخلي:

فاطمة حمدي

رابط الكتروني:

فاطمة حمدي

ندبات الفراق

ينظُر إلى تِلْكَ الملفات المُنتشرة أمامه دُونَ وجود أيِّ رغبة بإكمال مالديه مِن أعمال، السيجار يكادُ أن يحرق يده وهو ما زال غارقًا في بحر الذكريات، اليوم ذكرى أول مرة قالت فيها ماريا "أحُبّك" وهو يجلس هنا بمفرده، تذكر كل شيء حدث.. أول مرة ارتجفت يده للحظات حينما لمسته، نظراتهم المُتبادلة، تلعثمه وهو يرد بـ"أحبك"، كل تفصيلة والوجع يُدمي قلبهُ، أشعل سيجار آخر وبدأ يُدخن كالمجنون الواحدة تلوى الأخرى دُونَ توقف، جسده يرتعش، يود لو أن نَبضاتهِ تهدأ قليلًا. طرقات خفيفة على باب مكتبه أوقفته مِن التهام سجائرة، أذن له بالدخول..

_سيد إدوارد، الموظفون يطلبون المغادرة؟

أخذ ينفث الدُخان من حولهِ وهو يسأل:

_ لِما، مالذي حدث؟

-لاشيء سيدي هُنالكَ موجة أمطار قادمة والأخبار أمرت بالبقاء داخل المنزل.

-أخبره بالسماح لهم بالمغادرة ، قام مِن مكانه، ارتدى معطفهُ، أمسك قبعته وخرج تاركًا أمر سيارته.

أخذ يسير بين الأزقة، الهواء يعصف بالمكان، الغيوم بدأت تتجمع مِن فوقه وهو يسير بين تِلْكَ الذِكريات التي جمعتهم لأول مرة. في كُل مكان هُنالكَ ضحكة، دمعة حُب، صراخ، مُزاح، مُغازلة عُذرية، والكثير من النظرات المُتبادلة دُونَ ملل.

أرْهَجتِ السماء، وبدأت حبات المطر تتهاطل فوقه ليتذكر أول مرة رقصوا بِها هنا، كيف كان يصرخ "أحبك بِحجم السماء"، امتزجت دموعه مع تِلْكَ المياه المتساقطة بغزارة، وفي نهاية النهار وقُبيل الغروب عاد إلى منزله.

وَلَجَ إلى غرفته متخذًا السرير وجهته، وكما جرت العادة لديهِ "الويك اند" لا يبدأ إلاّ مطلع شروق الغد، حينها يتأهّب للخروج و اللهو كيفما يَرغب، ينزعُ عنهُ ملابس العمل..

و أخيرًا لحظة الإنعتاق من الرسمية. يشعر وكأن جسده كان مصلوبًا، لم يتحرك بأريحيةٍ، كانَت تحركاته ضمنَ نطاقِ ما كانَ يرتديه من بروتوكول الأعمال المكتبية.

إضطجعَ على شقهِ الأيمن و شعر بكم هائل من الأفكار تقف في صفوف داخل رأسه، يتمنى لو أنها أمامه الآن

ليحتفلا بهذه الذكرى السعيدة، أغمض عينيه وأخذ يتنفس بهدوء علها تظهر في حلمه، ظلَّ هكذا لبرهة مِن الزمن، لم يحدُث ماكان ينتظره، عاد ليُشعل سيجارته.

على طاولة المكتب كتاب (سبع ليالٍ في حدائق الورد) مجموعة قصصية من الأدب الصيني، وبعض مخطوطات العمل اللعينة ينظُر لها بِشغف حتى بدأ يُثرثر:

- إلهِ كم أنا متشوق لإنهائه، تمنيت لو أن ثمّة قانون آخر للجذب؛ أنظر إلى شيء أرغب فيه فيأتيني في التو واللحظة و يتماثل بين يديّ.. آه الرغبة! لا أعرف كيف أفسر ما يحدث بالداخل مثل نار تضطرم! مثل صوت يجلجل! لقد رغبت في وجودكِ هذا اليوم أكثر من أي وقت قد مضى، ربما الرغبة في شيء ليسَ متاحًا ولا مباحًا ضربٌ من الجنون.

أخذ خطوات مُتثاقلة نحو مكتبه وجلس ينظُر إلى تِلْكَ الوريقات كيف تضم بعضها لبعض ليكتُب هو

"عزيزتي ماريا..

مِن عُمق الهذيان، دُونَ أيّ مُقدمات أكتُب لكِ رسالتي المُنهكةُ كأنات الساعة الواحدة بعد مُنتصف الذِكريات القاسية ولمْ يُغمض ليّ جُفن بعد، لا أعلم أين سينتهي بي المطاف معَ كُلَ هذهِ التناقُضات التي بداخلي، لستُ حزينًا ولا سعيدًا، أصبحت لا أشعرُ بشيء أبدًا، بدأت أنسى كوني على قيد الحياة، أنا الآن لا أفعل شيئًا سوى التنفُس فقط وأتمنى أن أفقدَ هذا الشيء أيضًا. أصعب موت هو الموت وأنت على قيد الحياة. أوّدُ إخبارك أن الوضع هُنا مخيفٌ جدًا؛ الهدوء يَعُم المكان، جميع الأبواب مُغلقة، الغرفة مُظلمة، أجلس في زاوية الغرفة واضعًا رأسي بين قدمي، عقلي تائه، دقات قلبي مُضطربة، خلل في توازني، بداخلي صراعات كثيرة؛

هذه الفترة أخوض حربًا وحدي ضد جميع الذكريات المؤلمة اللعينة، في رأسي أفكار غريبة و مُرعبة، أفكار سوداوية، أفكار الانتحار باتت لاتُفارق عقلي، كُل شيء يُثير غضبي حتى التنفس بات يزعجُني، مزاج سيء مُتعكر، مُتقلب في جميع الأوقات. أنا صامت أكتم كُل هذه الصراعات، أواجهُ كل هذه الأفكار بمفردي، أكتم كُل شيء بطريقة تجعل جميع مِن هُم حولي يعتقدون أنني راضٍ عما يحدُث معي. كأنني أمتلكُ شخصين بداخلي؛ أحدهما يرغب بالتحرر ورؤية العالم، وآخر لايود أن يترك تِلْكَ الغرفة اللعينة.

عزيزتي أوتعلمين شيئًا لمْ أخبر أحدًا بهِ.. بتُّ أشعر أن أعضائي الداخلية مملوءة بالندوب والطعنات مِن هولِ وجعي وكتماني، ماهذهِ اليقظة القهرية الّتي لا تنتهي! سُحقًا.. عيناي باتت تفقد لونها جراء ما يحدث، الحنين يُمزق أوردتي بِكُل وحشية، وَأنا كَقطعَة ثلجٍ وضعَت

تحت أشعة الشمس الحارقة. هكذا أصبحت أنزف مِن كُلِ مكانٌ بداخلي!

أُريد أن أتخلص مني بأي طريقةٍ كانت، أُريد أن أحرق كل الأشياء التي بداخلي؛ فلقد سئمتُ مِن نواياي المؤكدة، رغباتي الطارئة، ظلي الذي يُشبه لعنة في فمِ شيطان، خوفي العابث، إيماني المُتأرجح، أفكاري الموبوءة، أسيئلتي المُترددة، انفعالاتي المرتبكة، أوراقي المبعثرة، حدسي الحاد واكتيئابي!

حسنًا.. إنها ليست المرة الأولى التي أشعر فيها بأني متورط بي وبِعُقدي النفسية المتشابكة، وأنني مجرد "شيء" لا معنى له، "شيء" فائض عن حاجةِ هذا الوجود الكبير للأشخاص المُملين مثلي

. نعم.. هي ليست المرة الأولى أيضًا التي أشعر فيها بأني "أكرهُني" وبشدة، وأكرهُ وجودي المُتعفن في داخلي. بعد رحيلك.. مُذ ذَلكَ الوقت أشتاق لكِ كثيراً، أشتاق لكلامك وَللأمان الّذي كانَ يَغمر روحي بجانبُكِ

رُغمَ كُلِّ شيء، أشتاق لتِلْكَ المشاكل والصراعات المستمرة بيننا، كُلَ شيء مُتعلقٌ بكِ أنا أحتاجهُ، أتعلمين شيئًا؟ الحُزن بجانبُكِ وتِلْكَ المشاكل المستمرة طوال اليوم هي أجمل بكثير مِن هذا الهدوء الّذي يتملكُني؛ فقد كُنتُ أترك خلفي كُل شيء بِمجرد قولُكِ "أحبّك". أما الآن أنا مُتعبٌ كثيرًا، لا أعلم مسار دموعي، لا أعلم كيفية تحقيق جزء مِن الأمنيات، لا أجيد الكِتابة عن السعادة، يجري بين أوردتي الحزن، لا أعلم كيفَ السبيل للهروب مِن تِلْكَ الهموم، نعم لقد وضعت تحت رحمة "القدر والمسافات"، لا أُجيد التنفس، الحياةُ تسير عكس اتجاهي، لا أعلم أين المفر مِن تِلْكَ العرقلات؟ وَأخيرا أين أجدُكِ الآن قبل أن يتلاشى قَلبي بين حُطام الذِكريات القاتلة وأختار العُزلة علىٰ الحبُ؛ لأبتعد بلا أيِّ سبب واضح مِن الحياة في متاهاتي السوداء، وأبقى وسط هذهِ الكآبة القاتمة المُسيطرة علىٰ أيامي، قبل أن أُجازف في تركك هنا بين أشيائي المُحطمة والكثير من الذكريات المكسورة،

فالجميع هُنا سيء كما تشاهدي، وأنتِ تزدادين بُعدًا يومًا بعدَ يوم؟ وَفِي نهاية الأمر أصبح كُلَ شيء بداخلي مُمزق، خارت قواي بالكامل، لَا أحمُل على متني سوى التعب وعدم القدرة على فعلِ شيء. الفراغ في كُلَ شيء حولي يحاصرني،

وجهي شاحبٌ وملامحي تضمحل يومًا بعدَ يوم،

أخافُ أن أفقد وجهي!

كيفَ لي إذًا بعَد أن حاولتُ كتابتي أنظر إلى المرآة وهذَا يزعجني! ولا أفعل شيئًا سوى السكوت والنظر لِما يحدُث حولي مِن خرابٍ وَيَباب متراكم. ما الذي حلّ بي لأصبح بهذَا الشكل المريع؟!

لا أملُك صباحًا.. فقَط ليلٌ أَظلمُ..

سأخبرُكَ سرًا "لقد فُقِدتُ مرةً آخرى" وهذا أمر مخيف، كيفَ لي أن أجمعني مجددًا؟

المخلص لكِ دائمًا -إدوارد-"

بعد ذَلكَ ترك كُلَ شي؟ وكعادتهِ ظَلَّ جالسًا على تِلْكَ الطاولةُ المُهترئة، وضع جمجمتة المُتعفنة من أفكاره فوقها وأغمض عينيه، كانت يداه تَرتجف وهي تقوم بتحريك القلم بسرعة، بدأت أفكارهُ تتساقط أمامه على الطاولة. التفكير المُفرط أشبَهُ بشمعة وضِعت داخل رأسك، تبقى تنطفىء رُويدًا رُويدًا، وَتتساقط قطراتها الحارقة فوق خلايا دماغك، تَظلُ روحُكَ تُلسَع في كُلِ ثانية فإن لمْ تّجد رياحٌ تُخمد نارُها
سوف تحرقك في النهاية.

وهنا عَمَّ الهواء أرجاء الغرفة، تملكت روحهُ كآبة قاتمة، وَفِي صمتٌ رهيب بدأ الوجع يتكلم معهُ..
-مابك! لِمَ أصبحت هكذا لا تتحملني بداخلُكَ! أنتَ الّذي كُنتَ قويا هل ستتركني أتغلب عليك بهذهِ السهولة؟ هل حقًا استسلمت بعدَ كُلَّ هذا الذي تخطيناه معا! لا يجب أن تصمت هكذا؛ فأنا لا أجدُ لذةً عندما أُعذبك، وَأنت لا تقُم بفعل أيِّ شيء.

قاومني أرجوك لقد اشتقت لشغفك وقوتك.

ليصرخ فجأة ويقول:

- أصمت أيها الوجع، ألا يوجد غيري في هذا العالم؟ ألم تتعب مِن كونكَ بِداخلي؟ ألم تتعب مما تفعله بي كل يوم؟
هل أنت اللعنة التي حلت عليّ أم أنك ذنبٌ اقترفتهُ دُونَ أن أشعرُ بِذَلك؟ تبًا لك. أنا الآن لا أشعر بك مِن شدة قوتك.

بعد ذلك اجتاح الصمت كل شي حوله.

أوقف ارتعاش يديهُ، رفع رأسه عن الطاولة وقال:

- لا لن أقاوم بعد الآن.

شعر بأن الجُدران بدأت تضيق الخناق علىٰ رقبتهِ، جسدهُ صار يرتعش بِشكل مُفزع، استسلم لهذا الوجع الذي أخذ ينتشر بين أضلعهُ، أغمض عينيه ولمْ يستيقظ بعدها لتنتهي الحكاية قبل أن تبدأ.

كانَ أشبَهُ بِطلوع الشمس في مدينة جميع مَن فيها عُميْ ولا أحد يهتم لِوجودُها.